ملف ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨

الـــثـــــــورة والإنـــقـــلاب الأســـــــود

من المثير للعجب أننا لانستطيع الحديث عن عبد الكريم قاسم وثورة ١٤ تموز من دون أن نعرج على نهايته المروعة ولانغادرها وكأن ٨ شباط ١٩٦٣احدثت قبل ١٤ تموز١٩٥٨،

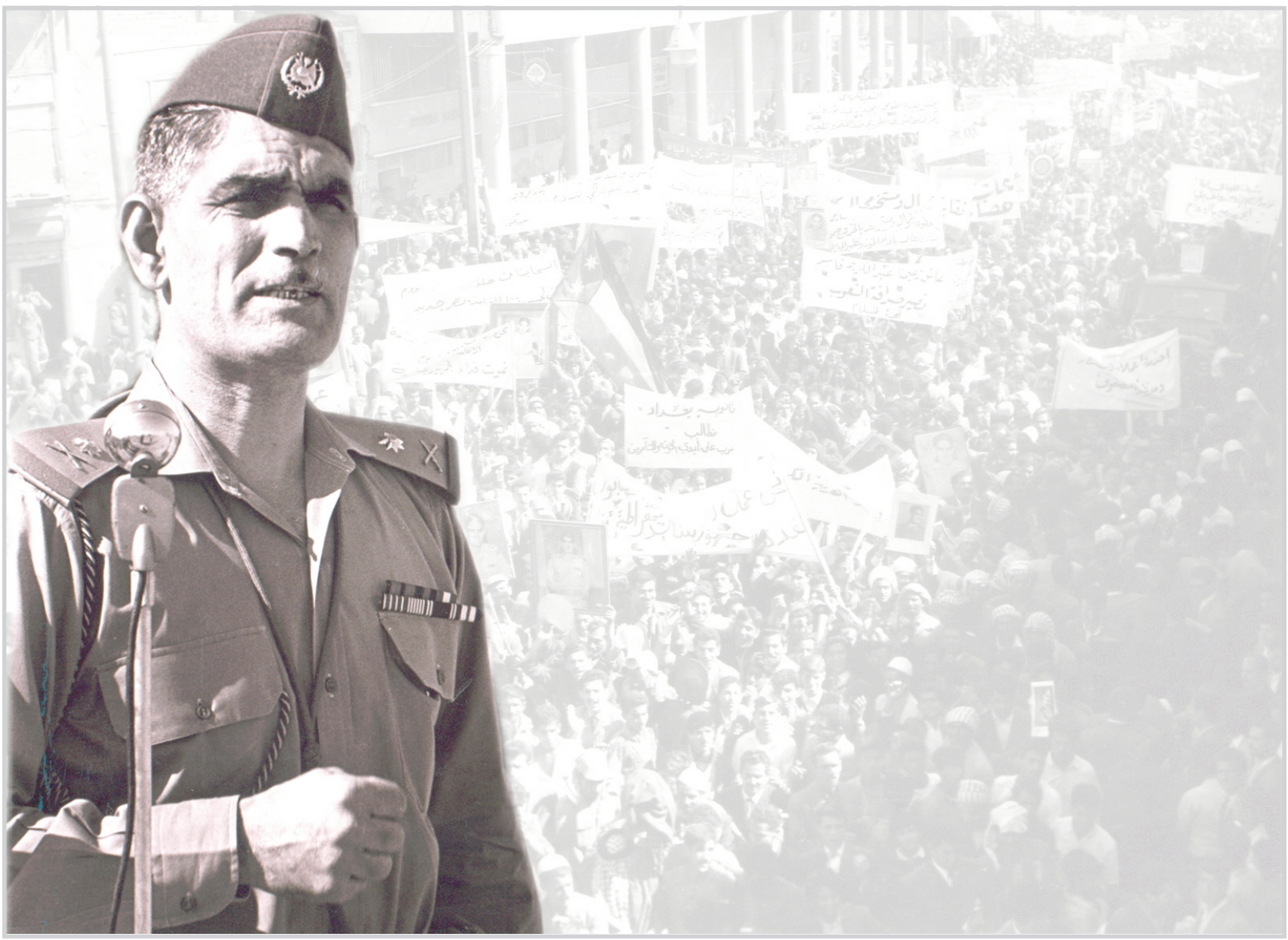

جودت جالي

وكأنها أكثر أهمية، كأن موته هو حياته وهو ١٤ تموز. تحتفظ ذاكرة طفولتي عن الزعيم عبد الكريم قاسم بمشاعر متناقضة مع مرور الزمن. منها أن بيتنا في الحي كان من البيوت القليلة التي تمتلك جهاز تلفزيون منذ عام ١٩٥٩، ولذلك كان من دواعي فخري كطفل أن يجتمع أترابي من أهل (الدربونة) عصرا في بيتنا لمشاهدة أفلام الكارتون على شاشة الجهاز الضخم الأنجليزي (سي جي أي) ذي اللمبات. هذه كانت أحدى ميزاتي بين أصحابي الأطفال والتي عكر متعتها علي (الزعيم) أحيانا كثيرة حين كان يظهر في التلفزيون ليخطب أحد خطاباته الطويلة فتلغى يومها فقرة أفلام الكارتون وفقرات كثيرة معها مايدفعني وعددا من الأطفال الى بكاء مر وحقد عارم عليه. مع ذلك كنت أعجب بقدرته على الصياح ساعات بكلام أكثره (أننا.....أننا....ثورتنا...جيشنا...) ويقول أشياء لاأفهمها عن الحرية والجمهورية والأصلاح الزراعي....الى آخره، وكلما طال خطابه طالت تعاستنا. عرفت فيما بعد، بعد سنوات من مقتله، أن أبي أيضا كان يشاركني برمي بالزعيم وبخطاباته، وكان وهو في الجيش يتهرب بالقفز من فوق سياج وحدته مع زملاء له ليتخلصوا من الندوات والمحاضرات (الطويلة أيضا) التي تعقد في الوحدات ويحصرون المراتب فيها قبل أنعقادها ليضمنوا حضورهم جميعا. عندما أخبرني والدي بهذا كنت قد كبرت وقطعت شوطا في علاقة جديدة مع ذكرى الزعيم، تغيرت مشاعري بصدمة الفيلم الذي عرضته حكومة انقلاب ٨ شباط عام ١٩٦٣ ويظهر فيه الزعيم معدوما وقد أجلس على كرسي، وبدا لي كأنه يعض على طرف لسانه. رغم ذلك كانت قسمات الموت على وجهه في غاية الهدوء والوداعة فيما كانت حركات الجندي الواقف خلفه في غاية الحقارة عندما كان يمسك بشعر رأس الزعيم ويهزه ويميله الى الخلف ليبصق في وجهه. بدت لي هذه النهاية، وأنا لازلت طفلا، غير لائقة به ولايستحقها.. حتى ولو كان يحرمني من مشاهدة أفلام الكارتون. من يومها كرهت البعثيين كرها بات ينمو ويكبر معي وتصالحت مع الزعيم الى الأبد. أبي لم يكن من جانبه أيضا راضيا عما حدث للزعيم رغم كل ملاحظاته عليه ومنزعجا الى درجة أنه في تلك السنة بالضبط دبر مع آبن خالته الطبيب الجراح كامل صالح أبراهيم أمر أحالته على التقاعد لأسباب صحية فقد أدرك أن الجيش لن يبقى هو ذلك الجيش الذي يعرفه وكأن مقتل الزعيم أشر بالنسبة أليه بداية أنهيار المؤسسة العسكرية أخلاقيا.

بدأت الأسئلة التي تراودني تكثر.. من هؤلاء الذين قتلوه؟ أي حقد هذا الذي سوغ لهم قتله وعرضه على الملأ بذلك التشفي الوضيع؟ أيقنت بمرور السنين أن عروض التشفي الدموية جزء من آيدويولوجية وسايكولوجية البعثي. نحن نعرف أشياء كثيرة اليوم بدأت تظهر طوال العقود الماضية شيئا فشيئا، بعضها صرح به بعثيون بمنتهى الفخر، وبعضها أخذ يتكشف عندما أنقلب صدام من حليف مدلل للغرب الى عدو ما أن دخل بجيشه الكويت، وأخذت الوثائق تظهر، ولكن ليس قبل ذلك.. لدي في مكتبتي موسوعة (أمريكانا) طبعة ١٩٨٠ لايوجد فيها مدخل مستقل لعبد الكريم قاسم وأنما ذكر في بضعة أسطر من مجمل الحديث عن العراق وضمن الحديث السريع جدا في المجلد ١٥ بينما أخذ الحديث عن الحكومة التي أعقبت حكمه حوالي صفحة، هذه الحكومة وصفها الكاتب بأنها Less repressive regime،يعني (نظام أقل قمعية) من نظام ثورة ١٤ تموز طبعا، وأمتدح (أنجازات) حكومة عبد السلام عارف ولم يذكر كما هو متوقع المذابح التي عصفت بالعراقيين، في سنة أصدار تلك الطبعة من الموسوعة وهي السنة التي نشبت فيها الحرب بين العراق وأيران لم يضعوا فيها خارطة العراق مستقلة بل مدمجة معها خارطة أيران!!

صرح جيمس كريشفيلد مدير مكتب المخابرات الأمريكية في الشرق الأوسط عام ١٩٦٣ للباحثين أندرو وباتريك كوكبيرن في كتابهما (من بين الرماد) قائلا ((كان (يقصد أنقلاب ٨ شباط) نصرا كبيرا....كانت عملية تم بها تذليل جميع الصعوبات)) هذا النصر هو الذي مهد الطريق أمام صدام حسين وحزب البعث ٤٠ عاما، أدلى عميل آخر بشهادة أمام الكونغرس قال فيها ((كان صدام أبن....، ولكنه كان أبن.... التابع لنا)) Our son of bitch.ورد هذا في فيلم جون بيلجر الوثائقي (دفع الثمن) الذي عرض في تلفزيون كارلتون بالمملكة المتحدة عام ١٩٩٩, أليس هذا وصفا لعبد الكريم قاسم بأنه كان شريفا؟ في كتاب آخر لأندرو وباتريك كوكبرن هو (أنبعاث صدام حسين) يجري بالتفصيل ذكر المساعدات التي قدمتها المخابرات المركزية للبعثيين لتنفيذ الأنقلاب والقائمة التي زودتهم بها بأسماء من يتوجب تصفيتهم وقد نفذ البعثيون الأمر بكل حمية وحماس. هذه الوقائع بتفاصيلها أيضا في كتاب سعيد أبو ريش (الصداقة القاسية: الغرب والنخب العربية). يقول توماس باورز في كتابه (الرجل الذي حفظ الأسرار: ريتشارد هيلمز والسي آي أي) عام ١٩٧٩ صفحات ١٦٠-١٦٤ أن المخابرات دعمت مسعى أغتيال عبد الكريم قاسم بمنديل مسمم وقد أرسل المنديل فعلا ولكن لايعرف أن كان قد وصل الى غايته ولكن المؤكد أن الزعيم لم يقتل وقتها بالمنديل غير أن أبناء بلده نفذوا المطلوب فيما بعد في ٨ شباط ١٩٦٣ حين أعدموه بعد محاكمة صورية مهينة. يورد سعيد أبو ريش في كتابه المذكور آنفا تفاصيل حول ضلوع المخابرات الأمريكية بشكل مباشر في أعداد وتنفيذ أنقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ حيث يثبت أن ٥٠٠٠ أنسان قتلوا وقتها وأرسلت المخابرات الى البعثيين قائمة تضم ٦٠٠ أسم لمن يجب قتلهم بينهم مهندسون وأطباء ومعلمون يعني النخبة المثقفة في البلد. أرسلت هذه القائمة الى بغداد عن طريق أذاعة سرية في بلد عربي مجاور كان أيضا قبل الأنقلاب قاعدة التحضير له وجرت فيه لقاءات بين البعثيين وعملاء المخابرات. القائمة أعدتها المخابرات بناء على معلومات زودها بها بعثيون في المنفى بضمنهم صدام حسين الذي لم تكن جريمته الوحيدة كونه بعثيا وشارك في محاولة اغتيال الزعيم عام ١٩٥٩ بل قتل الكثيرين ومن بينهم أحد انسبائه لأسباب سياسية. هرع صدام بعد نجاح الانقلاب بتعاون بين مخابرات الولايات المتحدة ومخابرات دول عربية ليتسلم مهمة رئاسة (الجهاز الخاص) ويشرف ويقوم بنفسه بتعذيب المثقفين خصوصا والنقابيين من الفلاحين والعمال. بعثت قيادة البعث في سوريا استفسارا الى نظيرتها العراقية حول داعي (أرتباطنا) بالمخابرات الأمريكية فضرب لهم رفاقهم مثلا بدخول لينين الى روسيا لاستلام السلطة بالقطار الألماني! هكذا أوصلت الولايات المتحدة عن طريق مخابراتها للسلطة حزبا لم يكن عدد أعضائه يتجاوز ٨٥٠ عضوا ولم يكن لديه أكثر من ١٠ دبابات نفذ بها الانقلاب وبدأت باستلامه السلطة في العراق سلسلة من أحداث الإبادات الجماعية لم تنته لحد الآن.

حكايتي مع الإثنين المشرق

عمران السعيدي

صباح الاثنين من ايام تموز الساخنة عدت لحقل (الجت) الواقع في منطقة تلول الدورة العالية بين شارع الحلة وسكة قطار البصرة... عدت بعد جولة في مزرعة البطيخ والشمام والفلفل فوق جرف دجلة الغربي من واحة بساتين الكرادة الوارفة بكل ماتحتويه من فاكهة وخضرة شواطىء بهية... دخلت حقل الجت الجاف والمتشابك الاطراف والذي نهيئه كل موسم صيف للحصول على بذور هذا النبات العزيز على زارعيه. يجف هذا الزرع بعد ان ينفض زهوره البنفسجية وتتحول هذه الزهور الى عناقيد بذور ثمينة... نجمعها بعد حصاد متعب لتشابك الاغصان مع بعضها البعض الآخر.

نزلت من سكة القطار الى الواحة الواسعة وما ان وطأت قدماي (مرز) احد الواح الجت حتى قفز من بين الاغصان الرمادية الجافة (عربيد) اسود كان ذنبه تحت قدمي وقوس ظهره وصل حدود وجهي ورأسه لايزال تحت الاغصان القوية.

انتفضت بعيدا عنه وراح يزحف بخفة متناهية بعيدا عني... لم اشاهد مثل هذا الثعبان الاسود طيلة وجودي بين تلك المزارع والبساتين ولن انسى ذلك الصباح ابدا... انه صباح يوم الاثنين من عام..١٩٥٨, يوم ١٤ تموز... كنت حينها طالب ابتدائية في منطقة الحارثية وكنا في عطلتنا الصيفية نساعد الاهل في الزرع والسقي(والحوي) وغيرذلك من اعمال فلاحية جميلة برغم المتاعب.

في تلك الساعة مرت بنا قافلة جمال تقودها فتاة سمراء طويلة جميلة... تتوثب وكأنها الغزال حاملة في يدها خيزرانة نزلت التل مسرعة نحو حشد الحصاد المكون من اولاد وبنات ونساء وهم ينشدون اغاني وهوسات لزيادة همة العمل...

طلبت منا تلك البدوية(طاسة) لبن.. قدمت لها الطاسة بعد ان ملأتها من(شكوة) جلدية مرصوفة تحت شجيرة شفلح ذات فيء سمين... شربت الطاسة قائلة بلهجتها البدوية وهي تضحك(يكولون الملج شارد...!) وتلك كانت اول عبارة سمعتها عن سقوط النظام الملكي وكانت بمثابة خبر مفاجيء بالنسبة لنا نحن الفلاحين حيث لانتوقع ان يحدث شيء للحكومة والملك..

ثم مرت مجموعة من اطفال مدينة البياع القريبة من مزرعتنا حاملة صورا تمثل قيادة الثورة اذكر بينهم الشهيد عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف ونجيب الربيعي اخذنا منها نسخة وبقيت في دارنا لفترة طويلة...

لازال اذكر ذلك الصباح التموزي الجميل وكنت قد سمت اصوات اطلاقات مدفعية تأتينا من جهة قصر الرحاب الذي تحول اسمه الى قصر النهاية ومن ثم احتلته فيما بعد قوى الكفر والقهر المتمثلة بدائرة المخابرات في نظام صدام المقبور... وسمي بدائرة المخابرات سيئة الصيت.

الـــطـــــريـق إلى فـقـــــراء الـــوطـــن

بغداد / شاكر الميام

في ظهيرة يوم شتائي من ايام عام ١٩٦٠، والشاكرية يومئذ تغرق في بحار من الطين والاوحال، تناهى الى اسماع ابنائها بان الزعيم عبد الكريم قاسم قدم الى الشاكرية في زيارة تفقدية لاحوال الناس فيها، فهرعت جماهيرها شيبا وشبابا.. نساءا ورجالا واطفالا من مختلف الاعمار كنت واحدا منهم مطلقين سيقاننا للريح في سباق باتجاه موقع سيارة الزعيم التي شاهدناها من بعيد وقد غرزت في لجة من الطين والطمى، تحلقنا حول السيارة ونحن ننظر اليه يرافقه المرحوم وصفي طاهر وسائق السيارة وقد ترجلوا منها جميعا وغاصت اقدامهم في تلك اللجة وكل منهم كف بنطاله حد منتصف الساق، في تلك اللحظة هزجت (وسيلة الشاعرة) (عبد الكريم انريده وسبع محابس بيده) تبعتها المرحومة (جماله) (اطلق اسمها فيما بعد على احد اسواق مدينة الصدر ولا يزال الناس يرددونه حتى اليوم) باهزوجة اخرى الهبت حماس المتجمهرين وقد علت وجه الزعيم ابتسامة عريضة وهو يلوح بيده للجميع، وفجأة اطلق (كطامي الاعمه) صرخة مدوية مطالبا بافساح المجال له كي يرى الزعيم !

جاءنا ذات يوم.. نحمله.. يحملنا

لا ادري.. كنت طفلا غرا خلته في لحظة.. طائرا اتى من عوالم احلامنا الوردية.. زارنا في صرائفنا.. في عتمتنا..نحن احباب الطين وعشاقه.. يوم كانت طرقاتنا تظاهرات للتراب وغضب الطين والتصاقه بالاثواب والاقدام.. وربما في الذاكرة، استقبلناه هكذا.. بكل تلقائية وعشق اهل الجنوب القادمين الى بغداد. صاح (زاير جحيف) الذي يبيع الرقي في الصيف، والسمك في الشتاء (ولكم ليوين يظل الزعيم واجف بالطين ؟)، اندفعت الحشود باتجاه السيارة، دقائق معدودة حتى حملتها السواعد فوق الرؤوس وسارت بها لاكثر من عشرين مترا ثم تضعها على ارض صلبة، في هذه الاثناء انبرت مجموعة من الشباب في محاولة لحمل الزعيم وصحبه فوق الاكتاف بغية اخراجهم من تلك المنطقة الموحلة الا انه رفض مفضلا السير معهم نحو السيارة، دنا منه (زاير مريدي ابو جبار والذي اصبح فيما بعد اشهر من نار على علم) وخاطبه قائلا : (اليوم زارتنا البركة يا بعد روحي) ربت الزعيم على كتفه وقال له : سيأتي اليوم الذي تكون فيه لديكم بيوتا صحية وحديثة، وتسيرون فوق طرقات معبدة، قال هذا وسط هتافات وتصفيق المحتشدين، ثم توجه الجميع يتقدمهم الزعيم نحو وسط الشاكرية وهم يخوضون في الطين، مر اولا بمقهى (الحاج خنياب) والتقاه هو واولاده، ثم عرج على مقهى (يوسف) واخيرا وصل الى دكان (زاير مجيسر) مستفسرا عن احوال المواطنين واحتياجاتهم ومستمعا الى طلباتهم، وفي هذه اللحظة توسل اليه (حمود ابو عبد الرضا) بان يكون له شرف استضافته وتناول الغداء في بيته (كوخه)، الا انه اعتذر لارتباطه بمواعيد رسمية، ثم قفل عائدا سيرا على الاقدام والناس تحف به من كل جانب .

وفي يوم اخر من ذلك العام، كنت عند شقيقتي (ام علي) التي تقطن في مجمع سكني اشبه بالخان يقع في محلة (الصنم) يعود للسيد (علي حاتم الساعدي) الذي تربطه بالزعيم عبد الكريم قاسم صداقة حميمة منذ مرحلة الشباب وقبل دخول الزعيم الى الكلية العسكرية، وكانت والدته (الحاجة سكينة) تحنو عليه مثل امه ويكن لها محبة وعطفا كبيرين ويناديها احيانا بكلمة (يوم) (بمعنى يمه). في ذلك اليوم، وبشكل مفاجئ حدثت جلبة وحركة غير اعتيادية بين الساكنين في ذلك المجمع، كنت من بين الاوائل الذين اكتشفوا وتبينوا سبب تلك الجلبة، اذكنت ضمن الصبية الذين تصدروا المشهد امام الباب الرئيس للمجمع لما شاهدنا سيارتين عسكريتين ترجل من احداهما وقد اخذتنا الدهشة الزعيم عبد الكريم ومرافقه وصفي طاهر والثانية كان بداخلها ثلاثة من عناصر الانضباط العسكري، في تلك اللحظة كنت انظر الى (الحاجة سكينة) وهي تحضن الزعيم وتقبل خديه فيما مد يده اليمنى مصافحا صديقه الحميم (علي حاتم الساعدي) ثم دلف الجميع نحو حجرة (الخطار) في سكن الساعدي وكنت من بين الداخلين، لم يتبق في الحجرة سوى الزعيم ومرافقه اللذان جلسا على كرسيين خشبيين بسيطين والساعدي ووالدته، وبعد ان جلس الزعيم خلع سدارته وراح يسأل (حجية سكينة) عن صحتها واحوالها وهي تلهج بالدعاء له بالصحة والتوفيق والنصر على من عاداه، بعد ذلك طلب منها ان تعد لهم الغداء بشرط ان يكون (باجه)، ثم سألها عني فاخبرته بأنني شقيق احدى نزيلات المجمع، فالتفت الى وسألني عن اسمي وهل انا في المدرسة ام لا فقلت له : اسمي شاكر وانا طالب في الصف السادس الابتدائي، ابتسم وقال لي: (صير شاطر) اجبته: انا شاطر وقد نجحت من الخامس وكان ترتيبي الثاني على صفي، التفت الى المرحوم وصفي طاهر قائلا : (صدك شاطر)، ثم فتح زر جيب قميصه العسكري واخرج ورقة نقدية من فئة الخمسة دنانير وناولني اياها الا اني ترددت قبل ان تشير الي (الحجية سكينة) بان اقبلها فاخذتها منه وظلت بكفي حتى خروجه من المجمع.

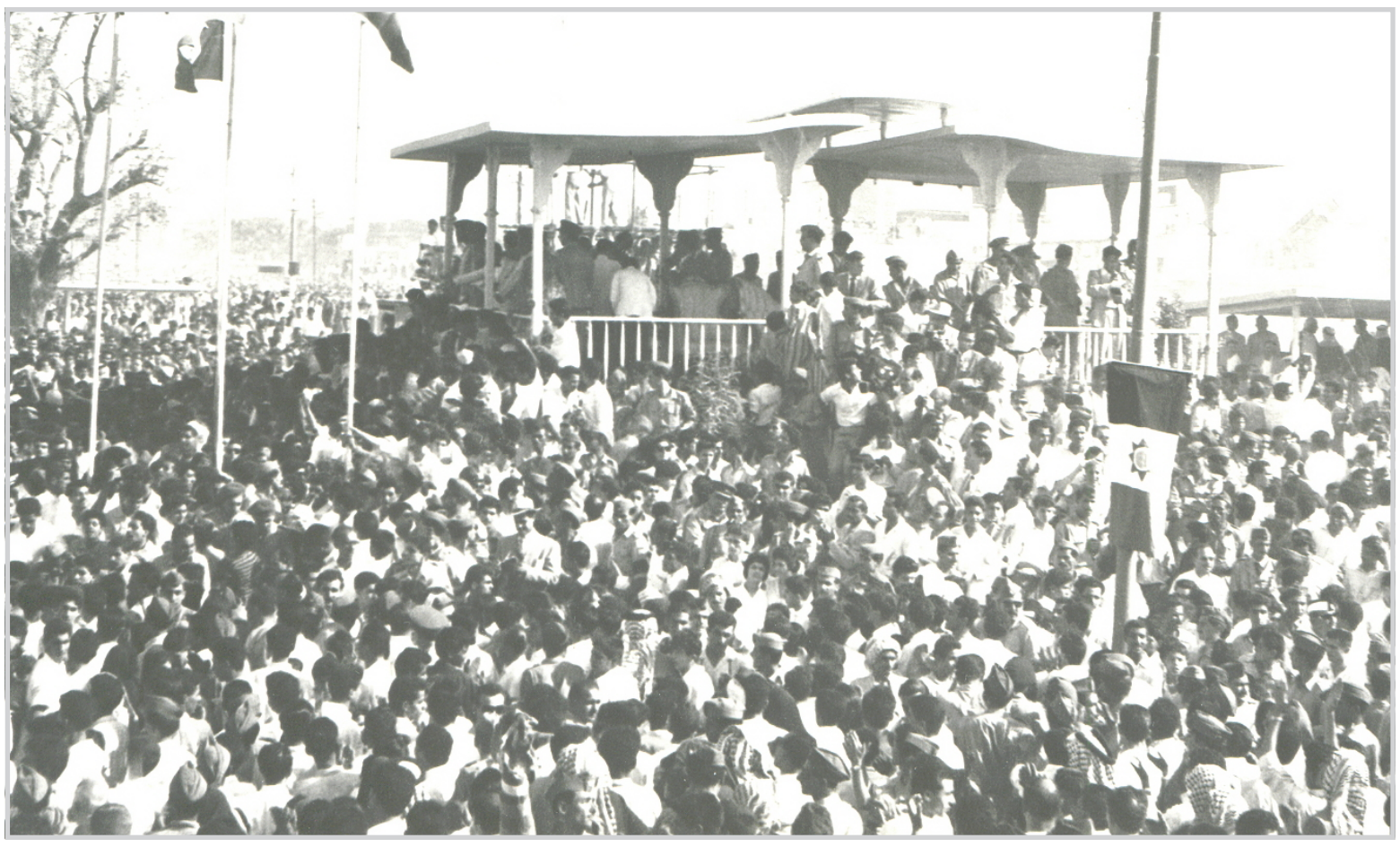

ها هي صورة اللحظة تلك ماثلة امامي..راسخة في ذاكرتي
حين جلست قبالتك..سيدي النجيب
مأخوذا بسماحة وجهك الحبيب
اغتالوك.. صناع الزمن الفاسد
مكثوا طويلا..ثم رحلوا
وكأنهم لم يمكثوا كل هذي
السنين...وتلك عجيبة
والاعجب..انك باق وهم ذهبوا.